

هذا إذا تم النظر إلى الشيء وإلى الواقعة من الخارج، وكأنها مجرد ظواهر مادية. ولكنهما يكتسبان دلالة عميقة ومعنى رمزياً يتجاوزان الحركة الخارجية إن تم رصدتهما من الداخل، وعرفنا أن الحجر حجر فلسطيني، التقطه من الأرض الفلسطينية شاب فلسطيني غاضب، يحمل في داخله الشرارة الإلهية والتطلعات البشرية، وألقى به على عدو غاصب يحمل آلة الدمار! هنا يتحول «الشيء» إلى «معنى» له دلالة تتجاوز الواقعة المادية، فهذا هي إحدى الأساطير الصهيونية تتساقط. فطالما زعم الصهاينة أن فلسطين أرض بلا شعب، فيأتي «الشعب الغائب» ويمسك بالحجر ويلقيه على عدوه ويرسل إليه رسالة واضحة، «فيتجلى السر وينطق الحجر»!

بهذا المعنى نقول: إن إلقاء الحجارة سلاح لدحر العدو، ورمز متبلور لهذا الشيء الأساسي والجوهري الكامن خلف السطح الذي يعلن الفلسطينيون عن وجوده، وهو التعبير المتبلور عن ذلك النموذج المعرفي الكامن في كل أشكال النضال الأخرى، والنظير الأساسي لكل الأسلحة المختلفة التي يستخدمها المنتفضون. ونحن إذا نظرنا إلى الحجر وجدنا أنه يتسم بالصفات التالية:

- * متوافر في كل مكان ولا يُستورد من الخارج .
- * يمكن استخدام نفس الحجر عدة مرات، أي يمكن تدويره، وربما إلى ما لا نهاية .
- * لا يمكن نزع هذا السلاح أو مصادره .
- * لا يتطلب استخدامه دورات تدريبية أو حلقات توعية .
- * بوسع الإنسان أن يلقي به ويفر فيضمن لنفسه البقاء .
- * يسبب الحجر الألم والأذى، ولكنه ليس مدمراً، ولذا فإن أمسك العدو برامي الحجر (خاصةً في وجود وسائل الإعلام) فلن يمكنه استخدام آتته العسكرية ضده إلا بحذر شديد .
- * لا يتطلب النضال بالحجارة عملية تنظيم مركزية أو قيادة قوية .